مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) في آذار سنة ١٩٢٤ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٢ هـ

الاشباه والنظائر

في قوانين حفظ الصحة في عصور المدنية الاسلامية وفي هذا العصر

قبل الكلام في الغرض من هذه الفاتحة رأيت ان اقدم هذه المقدمة المختصرة في كيفية تدرج العرب في سلم الحضارة واخذهم بالعلوم النافعة التي رفعوا بها منار المدنية الاسلامية وشيدوا عليها دعائم المجد العظيم فاقول :

ان ما بذله اسلافنا العرب من الجهد في العصور الاسلامية الأولى في سبيل العلم والمدنية جدير بامة لها المقام الرفيع في التاريخ القديم بما تركته من آثار المدنية القديمة في بابل و بلاد حمير والبتراء . وان الفترة التي مرت بين عهديها القديم والحديث وخيّم في اثنائها ظلام السكون والضعف على ارجاء البلاد العربية فحكم على صروح مدنيتها القديمة بالهدم والتخريب لم يمنعها من استئناف العمل لاسترداد مجدها الغابر لما سنحت لها فرصة النهوض من كبوتها بظهور الاسلام في جزيرة العرب وجمعه لكلمتها و بما وضعه لها من قوانين الاجتماع التي مهدت لها السبيل لتأسيس دولها ونشر جماح سلطانها فأقامت دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وغرناطة مقام بابل والبتراء وصنعاء وارسلت على آفاق الارض من هذه المدن نور المدنية الفاضلة والعلم

شغل العرب في بدء ظهور الاسلام واجتماع الكلمة بالفتح وانصرفوا الى تدويخ الممالك وتشييد بنيان الدولة ولما تمكنوا من غرضهم في الارض وتيسرت لهم وسائل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الراحة والاطمئنان على الملك اخذت اميالهم الغريزية للعلم والمدنيـة تظهر الوجود وآثارهم تبدو شيئاً فشيئاً في المملكة الاسلامية . واول ما بدأ ذلك في عصر الدولة الاموية في دمشق فان هذه الدولة مع قرب عهدها بالبداوة وانصرافهـا بـكليتها الى الفتح وتوطيد دعائم السيادة لم تغفل الاخذ باسباب الحضارة وتناول الضروري من شؤون العمران فـكان عليها في بادىء الامر ان تنحو منحى الفرس والروم في اظهار أبهة الملك وترتيب انظمة الدولة فدوّنت الدواوين ورتبت الجيوش ومهدت طرق المواصلات بالبريد وغيره ببن عاصمة الخلافة والعالات (الولايات) المترامية الاطراف واقام الوليد دور الضيافات في الطرق والملاجىء للزمنى من المرضى والعمي ودوراً لتأديب الايتام وتعليمهم ثم سمت همته الى تشييد البناء الذي ينافس آثار الاقدمين بضخامته ويفوقه بزخرفه فأمر ببناء المسجد النبوي وجامع بيت المقدس وجامع دمشق التي كانت ولم تزل من اعظم الآثار الاسلامية وارفعها بناء واجملهـا هندسة وزخرفاً الى اليوم . وكان ميالاً الى العمران فاتخذ المصانع والضياع وعني بالبناء حتى كان الناس يتحدثون في عصره اذا التقى بعضهم ببعض باخبار البناء وقد تخلل ذلك العصر نور ضئيل من انوار العلم والحكمة ظهر في سماء دمشق اذ تقدم خالد ابن يزيد بن معاوية الى المترجمين فترجموا له كتب الحكمة المعروفـة يومئذٍ بعلوم الاوائل ومنها الطب والكيمياء والهيئة وكان له عناية خاصة بالكيمياء وولع شديد بها وكان كثير التتبع على ما يظهر لآثار اليونان وعلومهم حتى توفق بتتبعه للحصول على كرة بطليموس الشهيره فقد نقل القفطي عن ابن السنبدي الاصطرلابي انه قال : كان الوزير ابو القاسم علي بن احمد الجرجاني تقدم في سنة خمس وثلاثين واربعمائة قبل وفاته باعتبار خزانة الـكتب بالقاهرة وان يعمل لها فهرست ويرم ما أخلق من جلودهـا وأنفذ أبا خلف القضاعي وابن خلف الوراق ليتوليا ذلك وحضر القصر وحضرت لاشاهد ما يتعلق بصناعتي فرأيت من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء وكرة نحاس من عمل بطليموس وعليها مكتوب « حملت هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكرة من (١) الامير خالد بن يزيد بن معاوية » وتأملنا فيما مضى من زمانها (زمن صنعها) فكان الفا ومائتين وخمسين سنة . وكرة اخرى من عمل أبي الحسين الصوفي للملك عضد الدولة وزنها ثلاثة آلاف درهم قد اشتريت بثلاثة آلاف دينار :

ولقد اجمع المؤرخون على ان خالد بن يزيد كان اعلم بني أمية ولما ولي الخلافة مروان بن الحكم تقدم الى سرجيس الحكيم ويقال له ماسرجويه ايضاً بنقل كتاب اهرن القس في الطب الى العربية فنقله له ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وجده في خزائن الكتب (٢) فأمر باخراجه الى الناس وبثه بين ايديهم لينفع به

هذا النور الضئيل الذي ظهر في عصر الامويين عظم وانتشر الى ان عم الآفاق في عصر العباسيين الذين كان لخلفائهم عظيم الاثر في رقي الامة العربية وقيام المدنية الاسلامية على اساس العلم الصحيح واول ما انبثق فجر المدنية الاسلامية الصحيحة وعكف العلماء على درس الكتب اليونانية والهندية والفارسية وترجمتها ففي عصر الخليفة ابي جعفر المنصور الذي امر باستدعاء رئيس اطباء جنديسابور جورجيس بن جبرائيل الى الحضرة واختصه بالمنزلة الرفيعة وامره بترجمة الكتب اليونانية فترجم له كتباً كثيرة من كتبهم الى العربي كما ذكر ذلك ابن ابي أصيبعة وكذلك امر محمد بن ابرهيم الفزاري بأن يترجم من الهندية كتاب السند هند المشهور عند العرب في علم الفلك ومحمد بن ابرهيم كان عالماً فاضلاً بعلم النجوم وتسيير الكواكب وهو الذي أتى بهذا الكتاب من الهند فترجمه له وانتشر بين ايدي العلماء وكان عمدتهم في ذلك الفن

وكان الخليفة الرشيد كذلك شديد الحرص على ترجمة الكتب اليونانية ونشرها فقد اقام يوحنا بن ماسويه اميناً على ترجمة الكتب التي وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم ورتب له كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه ولعله هو الذي اقام بيت الحكمة على ما اذكر وكان المأمون يضم الى هذا البيت اهل العلم والحكمة

---

(١) لعله الى (٢) قف عند خزائن الكتب لان وجودها في عصر عمر بن عبدالعزيز يدل على ان التدوين في الاسلام كان قبل عهده حتى تيسر وجود خزانة للكتب في دمشق في عهده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمترجمين وفيه نشأ اولاد موسى بن شاكر المهندسون المشهورون الذين اثبتهم المأمون مع يحيى ابن ابي منصور في بيت الحكمة هذا على ما ذكره القفطي في تاريخ الحكماء

وقد كثر المترجمون وطلاب العلوم النافعة والمنفقون على ترجمتها ونشرها بين العلماء والامراء والوزراء كثرة عظيمة ولاسيما في عصر المأمون الذي بلغت المدنية العربية في عصره اوج رفعتها

. . .

كان من العلوم التي ترجمت الى العربية وكثر الاقبال عليها والعناية بها علم الطب لشديد الحاجة اليه ولانه قوام الحياة ولاسيما في البلاد التي يستبحر فيها العمران وتزدحم السكان وتكثر وسائل الترف والنعم فكان للخلفاء والملوك والعلماء عناية خاصة بالطب واصوله وقوانينه وما يتفرع عنه وليس من غرضنا الكلام على الطب من حيث هو في هذا المقال لان ذلك من شأن الاطباء ولكن غرضنا بيان قوانين حفظ الصحة عند العرب وما كان للمدنية العربية من الأثر الجميل في التطبيب وعناية الملوك والخلفاء بالطب والاطباء والنظر في كيفية اتخاذ الوسائل الصحية بين الجمهور كانشاء المستشفيات الثابتة والنقالة وتوظيف الرؤساء من الاطباء لهذا الغرض والمحافظة على صحة المسجونين وتوظيف اطباء للسجون والتدقيق في اختيار الصيادلة واقامة الرئاسة العامة للمستشفيات (اي للصحة) وغير ذلك من الامور المتعلقة بالطب والتطبيب مما له كثير من الاشباه والنظائر في البلاد المتمدنة لهذا العهد وهو بحث لذيذ ونافع من الوجهة التاريخية من حيث علاقة قوانين حفظ الصحة وتشابهها في المدنيتين المدنية العربية والمدنية الحاضرة

المستشفيات

كانوا يسمون المستشفى بيمارستانًا وكانت هذه المستشفيات قليلة في باديء الامر ثم كثرت وعمت معظم البلاد في الممالك الاسلامية ولم اظفر بذكر اول مستشفى أنشيء في عصر التمدن الاسلامي الا ما نقل عن مستشفى جنديسابور في عصر ابي جعفر المنصور فقد كان رئيس هذا المستشفى جورجيس بن بختيشوع فاستدعاه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابو جعفر وامره بترجمة الكتب اليونانية كما مرّ عليك ثم كثرت بعد ذلك المستشفيات فكان منها الكثير في بغداد ومصر والشام ومكة والمدينة وقد كانوا يختارون للتطبيب فيها ورئاستها الاطباء المهرة ويجعلون للجميع رئيساً عاماً (كمدير او ناظر الصحة اليوم)

رئيس الاطباء او مدير الصحة

جاء في ترجمة ابي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي في تاريخ الاطباء انه كان من الاطباء المذكورين في بغداد ونقل كتباً كثيرة الى العربية وكان منقطعاً الى علي بن عيسى الوزير وان هذا اتخذ في سنة اثنتين وثلاثمائة البيمارستان وانفق عليه من ماله وقلّده ابا عثمان المذكور مع سائر البيمارستانات ببغداد ومكة والمدينة

وجاء في ترجمة سنان بن ثابت بن قرة انه كان طبيباً مقدماً وظهر امره وعلت منزلته في خلافة المقتدر حتى صار رئيساً على الاطباء

المستشفيات النقالة

اي الطوافة والعسكرية

نقل ابن ابي أصيبعة في تاريخ الاطباء عن تاريخ ثابت بن سنان ان الوزير علي بن عيسى وقّع لوالده سنان بن ثابت بن قرة الطبيب توقيعاً يقول فيه : فكرت فيمن في السواد (اي ريف العراق) من اهله فانه لا يخلو ان يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلوّ السواد من الاطباء فتقدم مدّ الله في عمرك بانفاذ متطببين وخزانة للأدوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة اليه ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون الى غيره : ففعل والدي ذلك الخ

ونقلوا عن الطبيب ابي الحكم الدمشقي ان ابا نصر العزيز بن احمد بن حامد جعله طبيب البيمارستان الذي كان يحمل في المعسكر السلطاني على اربعين جملاً

تعيين الاطباء للسجون

والعناية بحالة المسجونين الصحية

نقل ثابت بن سنان الذي تقدم ذكره عن والده سنان ان الوزير علي بن عيسى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رفع له توقيعاً يقول فيه : فكرت مدّ الله في عمرك في امر من في الحبوس وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الاطباء فيما يعرض لهم فينبغي ان تفرد لهم أطباء يدخلون اليهم في كل يوم وتحمل اليهم الادوية والاشربة ويتقدم بان تقام لهم المزوّرات (١) لمن يحتاج اليها منهم : ففعل والدي ذلك طول ايامه

مناوبة الاطباء في المستشفيات

جاء في ترجمة جبرائيل بن عبدالله بن بختيشوع ان عضد الدولة لما دخل بغداد كان معه في خاصته جبرائيل المذكور فتولى امر البيمارستان وكان يأخذ رزقين ومرتبين ، وهما برسم الخواص ثلثمائة درهم شجاعية وبرسم البيمارستان ثلثمائة درهم سوى الجرايات وكانت نوبته في الاسبوع يومين وليلتين

امتحان الاطباء والصيادلة

بلغ الخليفة المقتدر في سنة تسع عشرة وثلثمائة ان رجلاً من الاطباء غلط على رجل فمات فأمر محتسبه بمنع جميع الاطباء الاّ من امتحنهُ سنان وكتب له رقعة (شهادة) بما يطلق له فيه التصرف من الصناعة وامر سناناً بامتحانهم فامتحنهم وبلغ عددهم في بغداد ثمانمائة ونيفاً وستين رجلاً سوى من استغني عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة وسوى من كان في خدمة السلطان

اما الصيادلة فقد جاء في تاريخ الحكماء عن زكريا الطيفوري الطبيب قال : كنت مع الافشين في معسكره وهو في محاربة بابك فلما بلغت القراءة بالقارىء الى موضع الصيادلة قال لي يازكريا ضبط هؤلاء الصيادلة عندي أولى مما تتقدم فيه فامتحنهم حتى تعرف منهم الناصح من غير الناصح ومن له دين ومن لا دين له . فقلت أعزّ الله الامير ان يوسف لقوة الكيميائي كان يدخل على المأمون كثيراً ويعمل بين يديه

---

(١) المزوّرة على وزن اسم المفعول كما في شفاء الغليل للخفاجي هي مرقة يطعمها المريض مولّده . وقال الفقهاء : هي ما يطبخ خالياً من الادهان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقال له يوماً : ويحك يا يوسف ليس في الكيمياء شيء فقال بلى يا امير المؤمنين الصيدلاني لا يطلب منه شيء من الاشياء كان عنده او لم يكن الاّ اخبر بانه عنده ودفع الى طالبه شيئاً من الاشياء التي عنده وقال هذا الذي طلبت فان رأى امير المؤمنين ان يصنع اسماً من الاسماء لا يعرف ويوجه الى جماعة من الصيادلة في طلبه لابتياعه فليفعل فقال المامون قد وضعت الاسم وهو شفطيثا . وشفطيثا ضيعة من الضياع بقرب مدينة السلام . فسير المأمون جماعة الى الصيادلة يسألهم عن شفطيثا فكل ذكر انه عنده واخذ الثمن ودفع شيئاً من حانوته فصاروا الى المأمون باشياء مختلفة فاستحسن المأمون نصح يوسف عن نفسه . قال زكريا للافشين : فان رأى الامير ان يمتحن هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل فدعا الافشين بدفتر من دفاتر الاسروشنية فأخرج منه نحواً من عشرين اسماً ووجه الى الصيادلة من يطلب منهم ادوية مسماة بتلك الاسماء فبعضهم انكرها وبعضهم ادّعى معرفتها واخذ الدراهم من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته فامر الافشين باحضار جميع الصيادلة فمن انكر معرفة تلك الاسماء اذن لهم بالمقام في معسكره ونفى الباقين عن المعسكر ونادى في معسكره بذلك وكتب الى الخليفة المعتصم يلتمس بعثه اليه بصيادلة لهم اديان ومتطببين مثل ذلك فاستحسن المعتصم فعله ووجه اليه بمن سأل

هذا ما اردت بيانه من الاشباه والنظائر بين ما كان عند العرب وما هو عند الشعوب المتمدنة اليوم من ضروب العناية بالطب والتوفر على قوانين حفظ الصحة مكتفياً بالاقتصار على الشاهد او الشاهدين من التاريخ متوخياً الاختصار في بحث ربما كان التطويل فيه موجباً للملال والقصد انما هو التذكير لاجل النظر والاعتبار بماضي الامة العربية التي لها من امثال هذه المآثر في التاريخ ما يدعو الى الاعجاب والتقدير وما يحتاج بيانه الى كتب لا مقال او مقالين وربما كانت لنا عودة الى هذا الموضوع الخطير ان شاء الله احد اعضاء المجمع

مصر الجديدة رفيق العظم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net